

السنة الأولى ليسانس (أدب عربي)

مادة: النص الأدبي القديم

السداسي الثاني (نثر)

المحاضرة رقم: 11

المجموعة "أ" + المجموعة "ب"

الأستاذ عبد القادر شريف حسني بالتنسيق مع الأستاذ إبراهيم بوشريحة

## محاضرة أدب الرحلة في المشرق

### أدب الرحلة<sup>1</sup>:

بدأ اهتمام العرب بتدوين رحلاتهم منذ العصر العباسي الأول وخاصة مع حركة الترجمة التي عرفها العصر بداية من المهدي والرشيد، وما إن وصل عهد المأمون حتى بدؤوا في تأسيس الجغرافيا العربية محاكاة لجغرافيا بطليموس، انطلاقاً من وضع خارطة للعالم، لينطلقوا بعد ذلك في تأليف كتب الجغرافيا، وصفاً للبلاد العربية، ثم البلاد التي امتدت إليها الخلافة الإسلامية، وقد ركزت هذه المؤلفات على وصف عادات وتقاليد الأمم والبلاد التي وصل إلى الرحالة العرب وغير العرب، لتتحول هذه الكتب، وهذه الرحلات إلى كتب أدبية بفعل الأسلوب المعتمد في تأليفها، معتمدة في ذلك على السرد وتقنياته، بما فيه الحكاية والقصة، والوصف والحوار، وما إلى ذلك، لتصبح هذه الكتب أقرب إلى الأدب منها إلى الجغرافيا، ومن ثمة انطوت تحت جنس أدبي جديد سمي بأدب الرحلات، وسيتم التركيز من خلال هذه المحاضر على هذا الأدب من الناحية النظرية، مع الإشارات له في المشرق، وإدراج محاضرة أخرى حوله في الأندلس والمغرب.

---

<sup>1</sup> - الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال، ويقال رحل الرجل إذا سار. (ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص: 276). ومنه فإن الشخص الذي قام بالرحلة، قد ترك موطنه، وانتقل إلى مكان آخر، وسافر من موطنه وقصد جهة أخرى غير موطنه وسار إليها؛ لذا كان لفظ رحلة أعم، وأشمل ما يطلق على المسافر من مكان إلى آخر، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذي قام به وهو الرحلة. ينظر نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية. مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، صص: 41، 42.

## أثر الإسلام في أدب الرحلة:

كان للإسلام الأثر الواسع في ظهور أدب الرحلات، فكان داعما، ودافعا قويا لهذه الرحلات، وعلى رأسها الحج والعمرة، هذا بالإضافة إلى طلب العلم، والاستكشاف، وغير ذلك، وقد كان هناك الكثير من الأسباب التي دفعت بهؤلاء الرحالة إلى كتابات رحلاتهم، وتدوينها، وما زاد الاهتمام بهذا الأدب هو اهتمام خلفاء بني العباس في النهوض به، وخاصة في ما يتعلق برحلات الاستكشاف، ورسم الخرائط، هذا بالإضافة إلى الرحلات التي كانت من الأندلس والمغرب، إلى المشرق، لعدة أسباب. وقد اختلفت هذه التدوينات بين مسجل للعادات والتقاليد، ومسجل لسيرته الذاتية وما وقع له أثناء رحلته، ومنه فقد أصبح لهذه الرحلات "ضرورة سياسية وعسكرية، فاتساع أطرافها وامتدادها، من حدود الصين شرقا إلى شواطئ المحيط الأطلسي غربا، أوجب على ذوي الأمر احتياجهم للرحالة، ومن اعتاد السفر، وألف الطرق من أجل معرفة أخبار الأقاليم الخاضعة لهم على وجه السرعة"<sup>(1)</sup>، فكان ذلك من بين الأسباب التي أسهمت في النهوض بهذا الفن، نظرا لما يقدمه من خدمات.

## أشهر الرحلات في الإسلام:

- 1- رحلة الإسراء والمعراج.
- 2- رحلات التجسس والتحسس.
- 3- رحلات الوفود لاعتناق الإسلام.
- 4- رحلات الرسل لتبليغ الدعوة الإسلامية، ومنها:
  - رحلة أبي ذر الغفاري لفهم تعاليم وقواعد الإسلام.
  - رحلات لفهم أحكام الشريعة.
  - رحلات لتعليم مبادئ الإسلام.
  - رحلات لمراجعة الأحاديث النبوية.
  - رحلة سلام الترجمان<sup>(2)</sup>.

## مرحلة التدوين:

سمي العصر العباسي بعصر التدوين، لأسباب متعددة، منها التطور الملحوظ في أدوات الكتابة، وظهور طبقة من الكتاب اهتمت بذلك، واهتمام الخلفاء بالترجمة والتدوين، هذا بالإضافة إلى انفتاح الدولة

<sup>1</sup> - نخلة عبد العزيز مبارك الشقران، خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري، الآن ناشرون وموزعون، الأردن، ط1، 2015، ص: 11.

<sup>2</sup> - ينظر نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، صص: 42، 49.

الإسلامية على غيرها من الدول. ولذلك عُدَّت هذه المرحلة من أهم مراحل التطور والارتقاء التي مست أغلب العلوم، والفنون ولاسيما هذا الفن، المتمثل في أدب الرحلة. كما "وقد اتخذ التدوين أشكالاً متعددة، ويمكن القول، إن أغلب الرحالة دونوا ملاحظات أو تعليقات أو أوصافاً أو أخباراً مسهبة أحياناً وموجزة أحياناً، في أثناء قيامهم برحلاتهم"<sup>(١)</sup>، كل حسب مستواه العلمي، والأدبي. "ويبدو أن بعض الرحالة قنعوا بما دونوه من مذكرات، ورأوا أنها في غير حاجة إلى تنظيم أو تهذيب، أو أن الزمن عاجلهم فحال بينهم وبين ذاك، فوصلت إلينا كتاباتهم كما دونوها أول مرة"<sup>(٢)</sup>، على اختلاف مستوياتها.

وهناك البعض الآخر من الرحالة من كان يقص مشهدياته على الناس، عند عودته، ويدون البعض، بعض الملاحظات التي وصلتنا عن طريق المؤرخين الذين أوردوها في مصنفاتهم، ولم تأخذ هذه الملاحظات شكل الرحلة إلا في عصور لاحقة. إشارة منا إلى العصر العباسي، ومن ذلك رحلة سلام الترجمان<sup>(٣)</sup> مثلاً سنة 227هـ<sup>(٤)</sup>.

وهناك فئة أخرى "لم يدونوا رحلاتهم بأنفسهم بل عهدوا إلى بعض معاصريهم بتدوينها، تاركين لهم الحرية لنسج تفاصيل أخرى، ومن الأسباب غير الموضوعية قيام بعض اللاحقين باختصار النصوص وتجريدها بكل ما يمت إلى الأدب والإبقاء على ما هو علمي، بالإضافة إلى أن بعض النصوص ضاعت كاملة وأخرى فقدت بالحذف"<sup>(٥)</sup>، وهذا لا يلغي أن هناك بعض النصوص التي وصلتنا في أبهى حلة، لأنها وقعت في من يقدمها بأسلوب جميل، وبلغة راقية وسليمة، أضف إلى ذلك الاهتمام الواسع من قبل خلفاء بني العباس.

### أهمية أدب الرحلة:

تنطلق أهمية الرحلة وفضيلتها من آي القرآن الكريم، ومن ذلك، قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ"<sup>(٦)</sup>، وقوله: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"<sup>(٧)</sup>، ويقول الإمام الشافعي:

<sup>1</sup> - حسين نصار، أدبيات أدب الرحل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، بنان، القاهرة، ط1، 1991، ص: 59.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 60.

<sup>3</sup> - رحلة سلام الترجمان، من أشهر الرحلات في العصر العباسي، وقد وصفها العلماء بالأخبار المشهورة، وبالرغم من شهرتها إلا أنها عرضة للشك على ما ورد فيها من أخبار. ينظر نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية، ص: 49.

<sup>4</sup> - علي إبراهيم الكردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، سورية، 2013، ص: 9.

<sup>5</sup> - عبد الله بن عثمان الياقوت، أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001، ص: 6.

<sup>6</sup> - الآية: 15، سورة الملك.

<sup>7</sup> - الآية: 20، سورة العنكبوت.

ما في المقام لذي عقلٍ وذي أدبٍ  
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه  
إني رأيتُ وقوفَ الماءِ يفسدهُ  
والأسدُ لولا فراقُ الأرضِ ما افترست  
والشمسُ لو وقفت في الفلكِ دأمة  
والثبرُ كالثربِ مُلقًى في أمّاكنه  
فإن تغربَ هذا عزَّ مطلبه  
من راحةٍ فدع الأوطانَ واعترب  
وانصب فإنَّ لذيذَ العيشِ في النَّصبِ  
إن سآحَ طابَ وإن لم يجرِ لم يطب  
والسَّهمُ لولا فراقُ القوسِ لم يصب  
لَمَلَهَا النَّاسُ مِنْ عَجْمٍ وَمِنْ عَرَبٍ  
والعودُ في أرضه نوعٌ من الحطبِ  
وإن تَغَرَّبَ ذاكَ عزَّ كالدَّهَبِ

هذا بالإضافة إلى ما تقدمه هذه الرحلات من قيم علمية وأدبية، ومنه أصبحت هذه الرحلات معياراً للعلم والعلماء، فالعلم عندهم لا يكون إلا بالترحال ومجالسة العلماء في الأوطان البعيدة، وخاصة إلى المشرق، وبالتحديد إلى حاضرة العلوم والحضارات؛ بغداد. "ولعل أبرز دور قامت به الرحلة في العالم العربي هو الخدمة الكبرى، التي قدمتها لعلوم الجغرافيا، فقد كان الرحالة في وصفه للمسالك والممالك معيناً للجغرافي؛ لأنه يكتب بقلم الذي اتصل بالظواهر الجغرافية والطبيعية اتصالاً مباشراً، فرأى وسمع، كما أنه كان ذا نفع للمؤرخ ولعالم الاجتماع وللأديب والفلكي والفيلسوف والسياسي والاقتصادي<sup>(1)</sup>، بالإضافة إلى القيم التعليمية التي قدمتها للطلبة والباحثين.

هذا بالإضافة إلى الدور الذي يلعبه الرحالة في إنارة الطريق لمن يريد أن يسافر أو أن يعرف عادات وتقاليد البلاد البعيدة، إذ عملت هذه الرحلات على اكتشاف الكثير من البلدان التي لم تكن معروفة، ومن ذلك، روسيا وما جاورها، حيث يقول المستشرق الألماني "فرهن" أن روسيا وما جاورها لم تكن معروفة قديماً، إلا أن العرب ومن خلال رحلاتهم فقد تحدثوا عنها، وأدلو بمعلومات نافعة، وخاصة عن البلغار، وروسيا في عهدها البعيد، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون غريبة وعجيبة عن الصين، وعن الهند، ووصفوها<sup>(2)</sup>، ووصفوا غيرهما. ولهذا فإن أدب الرحلات العربية والإسلامية يمثل جانباً مهماً من جوانب الحياة العربية والإسلامية، وحتى الأجنبية، في مختلف نواحيها السياسية والاجتماعية والدينية والفكرية، والأدبية<sup>(3)</sup>.

<sup>1</sup> - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص: 23.

<sup>2</sup> - أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تح: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، المطبعة الهاشمية، دمشق، دط 1960، ص: 13.

<sup>3</sup> - فردوس أحمد، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، العدد الثاني، مارس، 2016، ص: 26.

## القيم العلمية والأدبية للرحلات:

تقدم الرحلات للأدب قيمة مضافة، تتمثل في تنوع الأسلوب ما بين الخبري والسردى، والحوار والوصف، إذ يعتبر هذا الأخير أهم خصيصة يعتمدها الكاتب في كتاباته لنقل ما تمّ رؤيته بأسلوب متنوع يتوقف على مستوى الرحالة الكاتب، وقد يلجأ الرحالة إلى من يكتب عنه.

كما تقدم نصوص الرحلات الكثير من المزايا للقراء، وخاصة تلك المتعة التي يجدها المتلقي في قراءته لهذه النصوص، سواء تعلق الأمر بالجانب الأدبي، أو الجغرافي؛ ومن هنا كان للرحلات قيمتان عظيمتان: قيمة علمية، وأخرى أدبية<sup>(1)</sup>، وثالثة تعليمية.

تتمثل القيم العلمية التي تقدمها الرحلات في المعارف الجغرافية، والاجتماعية والتاريخية، والاقتصادي، والسياحية، والصحية، وغيرها مما جاء في مدونات الرحالة، ولهذا اعتبرت هذه المؤلفات من المصادر الأساسية التي اعتمدها العلماء في أبحاثهم<sup>(2)</sup>، كل حسب تخصصه، "وهذه العلوم المختلفة مرت بعدة مراحل قبل أن تصل إلى ما هي عليه اليوم من دقة وتحديد وضبط، وقبل أن تتخذ صفة العلم القائم بذاته بفضل تقدم العقل البشري وأدواته العلمية. فقد كان علم الجغرافيا مثلاً، يعتمد قديماً الأسلوب الوصفي الأدبي، كما كان يستقي مواده من مصادر الأدب والتاريخ، وعلم الاجتماع والاقتصاد والدين، فإذا أصحابه يمزجون بين العلوم جميعاً، حتى يمزجون بينها وبين الخرافات والأساطير، فأتت كتبهم محتوية على كل طريف ممتع"<sup>(3)</sup>، من شأنه أن يشد المتلقين.

أما القيمة الأدبية -وهذا المهم- فتتمثل في ما تقدمه هذه النصوص من قيم جمالية تمثلت في التنوع الكثيف لأساليب اللغة العربية تمازجت بين الأسلوب السردى والخبري، والحواري، مرتكزة في ذلك على الوصف كتقنية مهمة في أدب الرحلة، كما وقد أفاد هذا الجنس الأدبي "بغنى موضوعاته، في صرف أصحابه -في غالب الأحيان- عن اللهو والعبث اللفظي والتكلف في تزويق العبارة، إثارةً للتعبير السهل المؤدي للغرض لنضجه بغنى تجربة صاحبه، مما يفتقده كثير من الأدباء والمحترفين في بعض عصورنا الأدبية"<sup>(4)</sup>، حسب ما ذهب إليه الدكتور حسني محمد حسين. إلا أن هذا لا يعني أن هذا الأدب خال من المحسنات البديعية، بل فيه الكثير مما تمّ الاطلاع عليه -من خلال تجربتنا المتواضعة، من نصوص هذا الأدب، وخاصة

<sup>1</sup> - ينظر حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1983، ص: 6.

<sup>2</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص: 7.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص: 7.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص: 9.

تلك التي ارتبطت بالرحالة الأدباء، أو التي كتبها أدباء بالنيابة عن الرحالة- من التزويق والتمنيق، ما يضمنه إلى مصاف الأجناس الأدبية الأخرى، كما أنه يقدم جملة من الخدمات الملموسة لكثير من العلوم، وعلى رأسها الجغرافيا. ومع ذلك فقد ذهب الدكتور حسني محمد إلى أن هذه "المميزات والخصائص المتعلقة بأسلوب أدب الرحلة وبموضوعه الشمولي الغني بما فيه من علم وأدب وخرافة وأسطورة يمكننا اعتباره نمطاً خاصاً من أنماط القول الأدبي، قد لا يرقى إلى مستوى الفن القائم بذاته كفن القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة الأدبية مثلاً، ففيه تجتمع أساليب هذه الفنون وموضوعاتها كلها من غير أن تضبطه معاييرها أو أن يخضع لمقاييسها"<sup>(1)</sup>، ومما ارتكزنا عليه فيما ذهبنا إليه من اختلاف، على أن هذا الأدب هو مجرد قول، وأنا قد اعتبرناه وصنفناه كأحد الأجناس النثرية، هو أن أسلوب هذا الأدب يختلف من كاتب لآخر، ومن موطن لآخر كذلك، هذا من جهة ومن جهة هو أن الدكتور حسني، قد عاد بعد ذلك ليقول: "أن غالبية هؤلاء الرحالة المؤلفين كانوا كتاباً قبل كل شيء، فجاءت كتاباتهم يغلب عليها الطابع القصصي يستندون به إلى الواقع أحياناً ويجنحون إلى الخيال أحياناً أخرى ويحفلون فيه بالقصص للمتعة التي تسمو به إلى مرتبة الأدب الفني الصرف في أغلب الأحيان"<sup>(2)</sup>، وعلى هذا الأساس كان هذا الأدب ميّالاً إلى الفنون الأدبية، منه إلى الجغرافيا، والعلوم الأخرى.

هذا بالإضافة إلى القيمة التعليمية التي يقدمها هذا الأدب للطلبة، لأن "هذا النوع من الكتب يسهم في تثقيف القارئ وإثراء فكره وتأملاته عن الآخرين. ذلك أن كُتاب الرحلات يصورون -إلى حد كبير- بعض ملامح حضارة العصر الذي قاموا فيه برحلاتهم، وثقافة البلدان التي ذهبوا إليها، وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها"<sup>(3)</sup>، ومنه فإن هذه العادات والتقاليد المنقولة بفعل هذه الكتب تعد تثقيفاً للمتلقي، إذ إنها تقدم له ثقافات البلدان البعيدة بين يده، وخاصة في الفترات التي فُقدت فيها الوسائل والوسائط التكنولوجية، وعلى هذا الأساس "كان للرحلات قيمة تعليمية من حيث إنها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان، وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين"<sup>(4)</sup>، وتركيز الباحث هنا لا يكون على الرحلة في حد ذاتها، بقدر ما يركز على رصد الظواهر اللغوية والأدبية التي تقدمها هذه الرحلة.

<sup>1</sup> - حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، ص: 9.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص: 12.

<sup>3</sup> - سيد أحمد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديماً وحديثاً)، مكتبة غريب، القاهرة، دت، دط، ص: 8.

<sup>4</sup> - حسين محمد فهم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 189، ص: 15.

## أسباب الرحلة ودوافعها:

عدد الأدباء والعلماء الكثير من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الترحال، فكان من جملة هذه الأسباب ما هو ضروري، ومنها ما هو من باب الاستكشاف، إلا أن حاجة الدول لكثير من الأمور وعلى رأسها الخراج، دفع بالخلفاء والملوك إلى تمويل هذه الرحلات، وطالبوا أصحابها بكتابتها، والاهتمام بها، وهو ما ارتقى بهذا الجنس الأدبي إلى قائمة الأجناس الأدبية الأخرى، "فعني الجغرافيون بهذا الجانب، وزاد في عنايتهم به حاجة الحجاج إلى معرفة محطات القوافل في طريقهم إلى مكة"<sup>(1)</sup>، هذا بالإضافة إلى بعض الأسباب الأخرى، التي تختلف من شخص لآخر، إلا إنها لا تخرج عن جملة الأسباب التي يمكن أن نجملها في العناصر التالي:

- 1- أسباب دينية: كرحلات الحج والعمرة.
- 2- أسباب علمية: كطلب العلم.
- 3- أسباب سياسية: كوفود الدول إلى بعضها البعض.
- 4- أسباب اقتصادية: كالتجارة.
- 5- أسباب سياحية وثقافية: كحب التطلع، والتنقل.
- 6- أسباب صحية: كالسفر لطلب العلاج.

## آداب الرحلة:

للرحلة آداب ينبغي للمسافر أن يعرفها، ويلتزم بها، ذكرها الإمام العلامة أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين"، يمكن أن نلخصها في هذه العناصر:

- 1- البدء برد المظالم، وقضاء الديون، وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته. ورد الودائع.
- 2- اختيار الرفيق، وليكن المعين على الدين، فالمرء على دين خليله، فلينظر المرء من يرافقه، وقد نهى الإسلام عن أن يسافر الرجل وحده، وجاء هذا النفي عند البخاري بلفظ "لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار راكب بليل وحده"<sup>(2)</sup>، كما قال ﷺ "إذا كنتم ثلاثة في السفر فأمرؤا أحدكم"<sup>(3)</sup>، وقال أيضا: "خير الأصحاب أربعة"<sup>(4)</sup>.

---

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987، ص: 12.

<sup>2</sup> - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج6، دار الشعب، القاهرة، دط، دت، ص: 1091.

<sup>3</sup> - الطبراني من حديث ابن مسعود، ينظر المرجع نفسه، ج6، ص: 1091.

<sup>4</sup> - أبو داود والترمذي، ينظر المرجع نفسه، ج6، ص: 1092.

- 3- أن يودّع الرفاق والأهل، وفي ذلك يقول ﷺ: "إذا أراد أحدكم سفراً فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له في دعائكم البركة"<sup>(١)</sup>، وكان إذا ودع أحداً، قال له: "زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت"<sup>(٢)</sup>، وقال: "أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه"<sup>(٣)</sup>.
- 4- أن يصلي قبل السفر صلاة الاستخارة، ووقت الخروج يصلي لأجل السفر.
- 5- عند باب الدار عليه بالدعاء.<sup>(٤)</sup>
- 6- أن يرحل عن المنزل بكرة، مصداقاً لقوله ﷺ: "اللهم بارك لأمتي في بكورها"<sup>(٥)</sup>.
- 7- أن لا ينزل حتى يحمى النهار فهي سنة، ويكون أكثر سيره بالليل، قال ﷺ: "عليكم بالدلجة فإن الأرض تُطوى بالليل"<sup>(٦)</sup> (رواه أبو داود).
- 8- أن يحتاط بالنهار فلا يمشي منفرداً خارج القافلة.<sup>(٧)</sup>
- 9- أن يرفق بالدابة إن كان راكباً، فلا يحملها ما لا تطيق.<sup>(٨)</sup>
- 10- أن يستصحب معه الأشياء الضرورية.<sup>(٩)</sup>
- 11- وفي آداب الرجوع من السفر، عليه بالدعاء.<sup>(١٠)</sup>

### أسلوب الكتابة في أدب الرحلة:

أما بالنسبة للأسلوب الذي يعتمده الكاتب في كتاباته، فيتركز على نقل الواقع، مع إضافة بعض القيم الأدبية، وخاصة عندما يحتفل الكاتب بالأساطير والخرافات، مع شيء من المحسنات البلاغية، وجمال اللفظ، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حداً كبيراً من الدقة، علاوة على ما قد يستعين به من

<sup>1</sup> - حديث زيد بن أرقم سند ضعيف، أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج6، ص: 1093.

<sup>2</sup> - حديث عمرو بن شعيب، ينظر المصدر نفسه، ج6، ص: 1093.

<sup>3</sup> - حديث أبي هريرة، ينظر المصدر نفسه، ج6، ص: 1093.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، ص: 1094.

<sup>5</sup> - رواه الخرائطي، ينظر المصدر نفسه، ج6، ص: 1095.

<sup>6</sup> - المصدر نفسه، ج6، ص: 1096.

<sup>7</sup> - المصدر نفسه، ص: 1097.

<sup>8</sup> - أن يستصحب معه ستة أشياء، حسب ما ورد عنه ﷺ، برواية عائشة: قالت: كان الرسول ﷺ، إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرأة، والمكحلة، والمقراض (مِقْصٌ ثَقْلَمٌ به أغصانُ الشجر أو تقصّ به الأظافر. معجم المعاني الجامع)، والسواك، والمشط، وفي رواية أخرى والقارورة. المصدر نفسه، ص: 1098.

<sup>9</sup> - ومن الأدعية الواردة، ما قاله ﷺ: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيئون تائبون عابدون ساجدون لرنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده" ينظر المصدر نفسه، ج6، ص: 1099.



أسلوب قصصي سلس مشرق، وهذا هو الذي يجعل بعض الدارسين يُدخلون أبيات الرحلات ضمن فنون الأدب العربي، عندما تصبح قراءة هذا اللون من الكتابة متعة ذهنية<sup>(1)</sup>، تنمي العقول، وتريح القلوب. وقد كان لهذا الأدب شيء من الحرية -قلما تتوفر لغيره في الألوان الأدبية الأخرى- في وصف المشاهد واختيارها، ورصد الحوادث، مما يمكنه من تلوين أساليبه، وموضوعاته الرحلية، كما يمكنه الإفادة من ثقافته المختلفة، وقدرته الإبداعية نثراً وشعراً<sup>(2)</sup>.

وقد تراوح أدب الرحلة بين نقل الوقائع، وتقديم المتعة، فمنهم من تخطى البلاغة ولم يعتمد عليها. ومنهم من نقل الصور والمشاهد على نحو يحقق التأثير الوجداني، أو ينقل الأحاسيس والعواطف التي يجدها في نفسه لمن يحتاج إلى تلك المشاهد والآثار والصور، والأخبار، وهذا البعد هو الذي يملأ النفس متعة وتأثيراً، ويجعل للرحلة سمة أدبية قيّمة، بدلاً من أن تقف عند حد التسجيل والتدوين والجمود<sup>(3)</sup>، والحديث عن المتعة المتعة الأدبية هنا لا ينطبق على كل الرحلات المدونة، وإنما على جزء منها، وإن كان الأغلب، وخاصة أن هذا الفن وإن صف إلى جانب الفنون الأدبية الأخرى فإنه لا يرقى إليها كل الرقي، كما نظر إليه الكثير من الأدباء والباحثين.

كما أن كتب الرحلة تشترك في بعض السمات، ومن ذلك؛ الشمول والتنوع، حيث تتسع موضوعات هذه الكتب لتشمل الأدب، والتاريخ والجغرافيا، والدين، والثقافة والسياسة، وهي تعتمد الدقة في الوصف والتصوير، مرتكزة في ذلك على الصدق في نقل المعلومة<sup>(4)</sup>، لأن هذا الجنس يقتضي ذلك، كما أن "غنى موضوعات الرحلات، قد جعل معظم أصحابها يؤثرون التعبير السهل المؤدي للغرض بدلاً من التكلف، وتزويق العبارة، ولعلّ التجارب التي مرّ بها معظم الرحالة كان لها دور في نضج الأسلوب العلمي السليم في كتاباتهم، لما وصلوا إليه من علم غزير، فحرصوا على تدوين ملاحظاتهم أولاً بأول، ومن لم يفعل ذلك، دَوّن رحلته بعد عودته إلى بلاده معتمداً على قوة ملاحظته في وصف مشاهداته، فقدمت رحلاتهم مادة علمية متنوعة الموضوعات مما ترتب عليه ازدهار فن الرحلة"<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> - سيد أحمد النساج، مشوار كتب الرحلة، المرجع نفسه، ص: 8.

<sup>2</sup> - عبد الله بن أحمد بن حامد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1997، ص: 01.

<sup>3</sup> - ينظر سيد أحمد النساج، مشوار كتب الرحلة، المرجع نفسه، ص: 7.

<sup>4</sup> - ينظر المرجع نفسه، ص: 9.

<sup>5</sup> - نوال عبد الرحمن محمد الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2006، ص: 190.

قضية أخرى لابد من الإشارة إليها، وهي أن أغلب الرحلات قد التزمت أسلوباً واحداً في تقديم المادة، التي تتمثل في الوصف الخارجي للأماكن والبلدان والعادات والتقاليد، وما إلى ذلك، كما ابتعدت هذه الرحلات عن توظيف الخيال إلا في القليل النادر، إذ التزمت اللغة الثابتة الواضحة في التوظيف. إلا أن الرحلات مع ابن خلدون فقد مالت إلى الكتابة السيرة، باعتباره أول كاتب "عربي يكتب عنه نفسه ترجمة رائعة مستفيضة يتحدث فيها عن تفاصيل ما جرى له، وما أحاط به من حوادث، من يوم نشأته إلى قبيل مماته؛ ويتحدث عن ذلك بدقة المؤرخ الأمين الحريص على الاستيعاب والشمول... لتدخل هذه الترجمة من بعض نواحيها في الفن التاريخي الذي اشتهر باسم الاعترافات"<sup>(1)</sup>.

أما بالنسبة لما يمكن أن نقدمه عن أدب الرحلة في المشرق، فقد وقع الاختيار على الرحالة التاجر الأديب شمس الدين المقدسي، كنموذج للدراسة وسيتم تقديم جزء من وصفه للأقاليم التي ذكرها في كتابه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، إلا أن التركيز على أهم الأقاليم التي ذكرها في كتابه، سيكون من خلال درس الأعمال الموجهة، أما هنا فسيتم تركيزنا على وصف إقليم الشام، من الأقاليم العربية، وإقليم المشرق من الأقاليم الأعجمية.

## رحلة المقدسي

### إقليم الشام:

"إقليم الشام جليل الشأن ديار النبيين، ومركز الصالحين، ومعدن البدلاء، ومطلب الفضلاء، به القبة الأولى، وموضع الحشر والمسرى، والأرض المقدسة والرباطات الفاضلة والثغور الجلييلة والجبال الشريفة ومهاجر إبراهيم وقبره وديار أيوب وبئر ومحراب داود وبابه ومعجائب سليمان ومدنه وتربة إسحاق وأمه ومولد المسيح ومهده وقرية طالوت ونهره ومقتل جالوت وحصنه وجبّ أرميا وحبسه ومسجد أورثا وبيته وقبة محمد وبابه وصخرة موسى وربوة عيسى ومحراب زكريّا ومعرك يحيى ومشاهد الأنبياء وقرى أيوب، ومنازل يعقوب، والمسجد الأقصى، وجبل زيتا، ومدينة عكا، ومشهد صديقا، وقبر موسى ومضجع إبراهيم ومقبرته ومدينة عسقلان، وعين سلوان، وموضع لقمان، ووادي كنعان، ومدائن لوط وموضع الجنان، ومساجد عمر ووقف عثمان، والباب الذي ذكره الرحلان، والمجلس الذي حضره الحصان، والسور الذي بين العذاب والغفران، والمكان القريب والمشهد بيسان، وباب حطة ذو القدر والشأن، وباب الصور وموضع اليقين وقبر مريم وراحيل ومجمع البحرين، ومفرق الدارين، وباب السكينة وقبة السلسلة ومنزل الكعبة مع مشاهد لا تحصى، وفنائل لا تحفى، وفواكه ورخا، وأشجار وأمايا، وآخرة ودنيا، به يرقّ القلب وينبسط للعبادة الأعضاء، ثم به دمشق، جنة الدنيا، وصغر البصرة الصغرى، والرملة البهية وخبزها الحواري، وإيليا الفاضلة بلا لأوى، وحمص المعروفة بالرخص وطيب الهواء، وجبل بصرى وكرومه فلا تنسى"<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن بن خلدون، حياته وآثاره ومظاهر عبقرته، دار مصر للطباعة، دت، دط، ص: 239.

<sup>2</sup> - المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1991، ص: 151.

## إقليم المشرق

"هو أجلّ الأقاليم وأكثرها أجلة وعلماء، ومعدن الخير ومستقر العلم، وركن الإسلام المحكم وحصنه الأعظم. ملكه أجل الملوك وجنده خير الجنود، قوم أولو بأس شديد ورأي شديد، واسم كبير ومال مديد، وخيل ورجل وفتح ونصر وقوم، كما كتب إلى عمر لباسهم الحديد وأكلهم القديد وشربهم الجليد، ترى به رساتيق جليلة، وقرى نفيسة، وأشجارا ملتفة، وأنهارا جارية، ونعما ظاهرة، ونواح واسعة، وديننا مستقيما، وعدلا مقيما في دولة أبدا منصوره مؤيدة، ومملكة جعلها الله عليهم مؤيدة، فيه يبلغ الفقهاء درجات الملوك، ويملك في غيره من كان فيه مملوك، هو سد الترك وترس الغز، وهول الروم، ومفخر المسلمين، ومعدن الراسخين، ومنعش الحرمين، وصاحب الجانبين، وجزيرة العرب أوسع منه رقعة غير أنه أعمر منها، وأكثر كورا وأموالا وأعمالا<sup>1</sup>).

---

<sup>1</sup> - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، المصدر نفسه، ص: 260.

## القرآن الكريم.

### قائمة المصادر والمراجع:

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، ج11، دار صادر، بيروت، دت، دط،
2. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج6، دار الشعب، القاهرة، دط، دت.
3. أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، رسالة ابن فضلان، تح: سامي الدهان، مطبوعات المجمع العلمي العربي، المطبعة الهاشمية، دمشق، دط 1960.
4. حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1983.
5. حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989.
6. حسين نصار، أدبيات أدب الرحل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، لبنان، القاهرة، ط1، 1991.
7. سيد أحمد النساج، مشوار كتب الرحلة (قديمًا وحديثًا)، مكتبة غريب، القاهرة، دت، دط.
8. شوقي ضيف، الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1987.
9. عبد الله بن أحمد بن حامد، أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، 1997.
10. عبد الله بن عثمان الياقوت، أدب الرحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة، دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2001.
11. علي إبراهيم الكردي، أدب الرّحل في المغرب والأندلس، الهيئة العامة السورية للكتاب، سورية، 2013.
12. علي عبد الواحد وافي، عبد الرحمن بن خلدون، حياته وآثاره ومظاهر عبقريته، دار مصر للطباعة، دت، دط.
13. فردوس أحمد، أهمية أدب الرحلات من الناحية الأدبية، مجلة اللغة، الكتاب الثاني، العدد الثاني، مارس، 2016.
14. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002.
15. معجم المعاني الجامع.
16. المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مديبولي، القاهرة، ط3، 1991.
17. نحلة عبد العزيز مبارك الشقران، خطاب أدب الرحلات في القرن الرابع الهجري، الآن ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2015.
18. نواب، عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية والأندلسية. مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996.
19. نوال عبد الرحمن محمد الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دكتوراه، الجامعة الأردنية، 2006.